مجلة الرائد

العدد : ٢٤٥ الموافق في جمادى الآخر ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٨ ميلادي

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة (٢/١)	الكاتب : رشيد أبو ثور

تمر العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب بمرحلة فائقة التوتر ، وخاصة مع الهجمة الشرسة التي تقودها أمريكا وحلفاؤها ضد الإسلام والمسلمين ، ومساندتها غير المشروطة للعدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني ، وإعلانها الصريح عن نيتها في تغيير الخارطة الجغرافية والسياسية للعالم الإسلامي ، خدمة لأطماعها وتطلعاتها ، على مستوى المنطقة وعلى مستوى العالم . ومما لاشك فيه أن ما ستسفر عنه هذه المواجهة الدموية أحيانا والخفية أحيانا أخرى ، سيحدد ليس مستقبل العالم الإسلامي فحسب ، بل مستقبل البشرية جمعاء .

ولا يمكن التعامل الواعي مع الولايات المتحدة ، الفاعل الغربي الرئيسي في هذه المواجهة ، إلا بمعرفة عميقة لطبيعتها وإدراك واضح لأهدافها ولمواطن قوتها ، ونقط ضعفها . ولقد صدرت مؤخرا عدة كتب تعالج هذه المواضيع ؛ وسنعرض لخمسة منها . ولأنها تشترك في كثير من التحليلات ، فإننا سنركز على ما يتميز به كل كتاب عن غيره . ولن نعتمد تاريخ الصدور في العرض بقدر ما سنرتب عرضها حسب ما يمليه تكامل ما تحمله من معلومات ، مع التذكير بأن هذا العرض لا يغني عن قراءة الكتب بكاملها .

الكتاب الأول :

ما الذي يريده حقيقة العم " سام "

المؤلف : نعوم تشومسكي ، ترجمة ونشر : الملتقي - المغرب ، الطبعة الأولى : ٢٠٠٣م .

ينفرد هذا المؤلف بتركيزه على أمرين : " **استراتيجية المجال العظيم** " و " **محاربة النموذج الناجح** ".

في عام ١٩٤٨م كتب أشهر مخططي السياسة الخارجية الأمريكية جورج كينان المذكرة ٢٣ ، التي يحدد فيها استراتيجية بلده لما بعد الحرب العالمية الثانية . تقول المذكرة :

" لدينا حوالي نصف ثروات العالم ، و ٦,٣ % فقط من سكانها ، إن هذا الوضع يجعلنا عرضة لحسد واستياء الآخرين ، و واجبنا في المرحلة المقبلة هو وضع نموذج للعلاقات يكفل استمرار هذا التفاوت ، ولكي يتحقق هذا لنا ، علينا أن نكف عن التعلق بالأحلام والعواطف ، وأن نركز الاهتمام على أهدافنا القومية المباشرة ، وعلينا أن نمتنع عن الحديث المبهم مع الآخرين ، وإثارة أهداف زائفة مثل حقوق الإنسان ورفع

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة (٢/١)	الكاتب : رشيد أبو ثور

مستوى المعيشة والتحول إلى الديمقراطية ، فإن اليوم الذي سنضطر فيه إلى التعامل بمنطق القوة ليس ببعيد ، وكلما قللنا من العوائق الناجمة عن رفعنا هذه الشعارات ، كلما كان ذلك أفضل لنا " .

ولمواجهة الشيوعية التي كانت تمثل آنذاك أهم منافس ، يقول : « علينا ألا نتردد في السماح للحكومات المحلية باستخدام شرطتها كأداة للقمع .. فليس هذا ما يستوجب خجلنا ، إذ أن الشيوعيين في أصلهم خونة .. ووجود نظام قوي في السلطة أفضل من وجود حكومة ليبرالية متسامحة ومتساهلة ينفذ إليها الشيوعيون ».

أما التصور الأمريكي لعالم ما بعد الحرب ، فيقوم على استراتيجية ما أسموه بـ " المجال العظيم " الذي يجب أن يلبي متطلبات الاقتصاد الأمريكي . ويشمل هذا المجال نصف الكرة الأرضية الغربي ، وأوروبا الغربية ، والمستعمرات السابقة للإمبراطورية البريطانية ، ومصادر الطاقة في الشرق الأوسط ، وبقية دول العالم الثالث . وكانت الاستراتيجية تقضي بتحويل الدول الصناعية مثل ألمانيا واليابان إلى ورش عظيم يعمل تحت إشراف الولايات المتحدة ، وجعل دول العالم الثالث مصدراً لإمداد المجتمعات الرأسمالية بالمواد الأولية ، وأسواقا لبيع المنتجات المصنعة . واقترح جورج كينان أن تحفز الولايات المتحدة تصنيع اليابان ، لكن شريطة أن تتحكم الأولى في الإمدادات البترولية للثانية ، لتتمكن من ضمان طاعتها . ويعد هذا أحد أسباب اهتمام أمريكا ببترول الشرق الأوسط .

ورأى استراتيجيو الولايات المتحدة أهمية إعادة بناء الدول الصناعية الغربية التي دمرتها الحرب ، لكي تتمكن من استيراد السلع الأمريكية وتوفير فرص الاستثمار ، لكن مع وجوب أن يقترن ذلك بعودة النظام اليميني و طرد الاتجاهات اليسارية من الحكومة ، والقضاء على كل من يقاوم الفاشية . ولقد أسفر مثلا تدخل أمريكا في اليونان سنة ١٩٤٧م لقمع المقاومة التي ثارت ضد نظام فاسد كانت قد نصبته بريطانيا عن ٠٠٠ ١٦٠ قتيل .

أما بالنسبة للعالم الثالث ، فتؤكد الدراسات أن التهديد الرئيسي للنظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة ، يأتي من الوطنيين ، الذين يستجيبون لمطامح شعوبهم بخصوص تحسين مستويات المعيشة ، وتلبية الحاجات المحلية الضرورية ، وأكد المخططون الأمريكان على ضرورة الإطاحة بهؤلاء إذا ما وصلوا إلى السلطة ، وتولية حكومات تستجيب لإرادة الولايات المتحدة ؛ وإذا ما واجهت حقوق المستثمرين الأمريكيين ما يهددها ، فعلى الديمقراطية أن تزول وأن يأخذ مكانها حكام ديدنهم القتل والتعذيب .

وللحصول على مباركة الشعب الأمريكي للاختيارات الدموية لإدارته ، أوكل لوسائل الإعلام المختلفة دور غسل دماغه بالشكل المناسب .

التهديد الذي يشكله النموذج الجيد

وأخشى ما تخشاه الولايات المتحدة هو بروز نموذج تنموي ناجح ، قد يحتدى من طرف دول أخرى ؛ ولتبرير تخطيط الولايات المتحدة للإطاحة بالحكومة الديمقراطية في غواتيمالا عام ١٩٥٤ ، قال أحد المسؤولين في وزارة الخارجية : « إن غواتيمالا أصبحت تمثل خطرا متزايدا على استقرار هندوراس والسلفادور ، إذ أن إصلاحها الزراعي سلاح دعاية خطير ، وبرنامجها الواسع للرعاية الاجتماعية سيستميل جيرانها في أمريكا الوسطى على حساب الطبقات العليا والمستثمرين الأجانب » .

وهذا ما سيدفع إدارات الولايات المتحدة المتعاقبة إلى ممارسة أبشع صور الضغط والعدوان على الشعوب الأخرى لإخضاعها للهيمنة الأمريكية .

الكتاب الثاني :

سادة العالم الجدد والذين يواجهونهم

المؤلف : جان زيكلر Jean Ziegler ، ٢٠٠٢م .

يحدد المبعوث الخاص لهيئة الأمم المتحدة للحق في التغذية ، جان زيكلر [(i)] Jean Ziegler في كتابه " **سادة العالم الجدد والذين يواجهونهم** " الشروط العشر للنموذج التنموي الذي يرضي أمريكا .

١- القيام في كل بلد مدين بإصلاحات ضريبية وفق معياريين : تخفيض الأعباء الضريبية على الدخل الأعلى لتشجيع الأغنياء على الاستثمارات المنتجة ، وتوسيع قاعدة دافعي الضرائب لتنمية حجم الأموال المحصلة .

٢- التحرير السريع والشامل ما أمكن للأسواق المالية .

٣- ضمان المعاملة بالمثل لكل من الرأسمال المحلي والأجنبي ، لمضاعفة حجم هذا الأخير .

٤- تفكيك القطاع العام ؛ وتخصيص المؤسسات التابعة للدولة أو الشبه العامة .

٥- تحرير اقتصاد البلاد من القيود لضمان حرية المنافسة بين القوى الاقتصادية القائمة .

٦- الحماية القوية للملكية الخاصة .

٧- وضع برنامج لتحرير المبادلات من خلال تخفيض التعريفات الجمركية بوتيرة ١٠% في السنة .

٨- تنمية الاقتصاد من خلال التصدير بإعطاء الأولوية للقطاعات الاقتصادية القادرة على ذلك .

٩- الحد من العجز في الميزانية .

١٠- إلغاء كل مساعدات الدولة للخواص ، وإلغاء دعمها للمواد الاستهلاكية الأساسية . وبالنسبة لمصاريف الدولة يجب أن تعطى الأولوية لتقوية البنية التحتية .

الكتاب الثالث :

الدولة المارقة

الصادر سنة ٢٠٠١م .

يستعرض بإسهاب كاتبه الأمريكي ويليام بلوم الذي كان موظفا بوزارة الخارجية ، كل الجرائم التي ارتكبتها الولايات المتحدة في حق الشعوب الأخرى بغية إخضاعهم لهيمنتها ؛ حتى أنه يعتبر الكثير من القادة الأمريكيين وعلى امتداد التاريخ ، لا فرق في ذلك بين جمهوريين وديمقراطيين ، مجرمي حرب . ويقرر الكاتب أن أي تعريف أعطيناه للإرهاب إلا وينطبق بامتياز على ما تمارسه الإدارة الأمريكية . فهذه الإدارة تلاحق الإرهابيين ومنتهكي حقوق الإنسان في العالم ، عندما لا يكون هؤلاء في خدمتها ، وتوفر لهم التدريب [ii] والدعم والملاذ عندما تستخدمهم لتحقيق أغراضها . وهكذا مارست الولايات المتحدة مباشرة أو عن طريق وكلائها الاغتيالات والتعذيب ، واستخدمت في ذلك العديد من مجرمي الحرب والنازيين القدامى الذين تخصصوا في كل ضروب البطش والتنكيل . ويكفي أنها كانت من أشد المساندين لبولبوط السفاح الكمبودي الذي قتل الملايين من شعبه.

في الجزء الثاني يتحدث الكتاب عن استعمال أمريكا لأسلحة الدمار الشامل ، ويستعرض قصفها المكثف للمدن على رؤوس المدنيين ، واستعمالها لذخيرة اليورانيوم المنضب التي تبقى آثاره السامة الملوثة القاتلة لآلاف السنين ؛ واستعمالها للأسلحة الكيماوية والبيولوجية في الخارج والداخل ، وتشجيعها لدول أخرى على استعمالها .

وفي الجزء الثالث يستعرض٦٧ من عمليات التدخل منذ ١٩٤٥م إلى يومنا هذا في مختلف دول العالم ، من الصين سنة ١٩٤٥ إلى يوغوسلافيا سنة ١٩٩٩م ، مرورا بفرنسا وإيطاليا سنة ١٩٤٧م ، و الاتحاد

السوفييتي في الأربعينات والستينات ، ثم إيران والعراق والصومال واليمن وغيرها من الدول العربية والإفريقية والآسيوية .

ويستعرض دور أمريكا في تزوير الانتخابات لضمان وصول عملائها إلى السلطة ، ووقوفها ضد إرادة العالم في الأمم المتحدة ، وتجسسها على كل بلاد الدنيا لا فرق في ذلك بين صديق وعدو ؛ وممارستها النهب والاختطافات . ويتحدث عن علاقة وكالة الاستعلامات المركزية الأمريكية بالمخدرات ؛ وعن رفضها في الأخير الاعتذار للدول التي اعترفت بأنها ارتكبت في حقها الآثام ، ناهيك عن تعويضها عما لحقها من أضرار .

يتعرض الكاتب لكل هذه العناوين بإسهاب ، غير أننا إذا علمنا ما ارتكبته الإدارة الأمريكية في حق الشعب الأمريكي نفسه ، فيسهل علينا أن نتصور وحشية ما فعلته ولا تزال بغيرها من الشعوب .

ورد في تقرير للكونجرس ، سنة ١٩٩٤م ما يأتي : لقد تمت ممارسة التجارب على ٦٠,٠٠٠ عسكري خلال الأربعينات لاختبار غاز الخردل وغاز lewisite . وفي التسعينات عاد آلاف الجنود من حرب الخليج وهم يعانون من أمراض غريبة ، جعلتهم يشكون خلال سنين طويلة من مشاكل صحية مختلفة .. ، واعترفت وزارة الدفاع في النهاية باحتمال أن يكون ١٠٠,٠٠٠ جندي قد تعرضوا لكميات كبيرة من غاز الساران Sarin عندما تم تدمير مخازن من هذا الغاز بالعراق .

وأجبر كذلك الجنود على التلقيح ضد مرض الفحم وغازات الأعصاب ، ولم يكن ذلك التلقيح مضمون الفعالية ولا خاليا من الخطورة . وفي سنة ١٩٩٩م ، صرح وزير الدفاع بأنه لا يستبعد أن يكون هذا التلقيح مسؤولا عما أصاب الكثير من الجنود بأمراض مزمنة . وتجدر الإشارة إلى أن جنود أمريكا كانوا قد أجبروا في الحرب العالمية الثانية على التلقيح ضد الحمى الصفراء ، وأدى ذلك إلى إصابة ٣٣٠,٠٠٠ منهم بفيروس التهاب الكبد .

أضف إلى ذلك أن مسؤولي البنتاغون لم يحذروا الجنود من مخاطر استعمال اليورانيوم المنضب ، ولا تم تشخيص ما يعانون منه من أعراض بالسرعة التي تسمح بمعالجتهم في الوقت المناسب ؛ وبسبب ما لحق بالجنود من أمراض مرتبطة بمهامهم العسكرية ، أضحى ثلث المشردين في الولايات المتحدة من قدامى المحاربين .

وعرفت العقود الممتدة من الأربعينات إلى التسعينات إخضاع الملايين من الجنود لتجارب كيماوية وبيولوجية وإشعاعية وسلوكية ، من دون أن يحظوا إلا نادراً بالإعلام المناسب وبالمتابعة العلاجية اللازمة .

وقامت وزارة الدفاع و " سي . أي . إي . " خلال ٢٠ سنة بإجراء تجارب في الهواء الطلق بأمريكا ، معرضة الملايين من المواطنين لسحابات ضخمة من الجزيئات الكيماوية ومن البكتيريا ، المحتملة الخطورة . ولقد فعلوا ذلك دون إخبار المواطنين ، ولا اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية الناس أو لمراقبة الآثار المحتملة .

واعترف الجيش بأنه أجرى بين ١٩٤٩م و ١٩٦٩م ، وفي ٢٣٩ منطقة مأهولة من الولايات المتحدة ، اختبارات حول عناصر وكائنات مختلفة بهدف تقدير سرعة انتشارها في الجو ، وتأثيرها على الطقس ، وتحديد المقادير المناسبة ، وأحسن الأماكن لإلقائها .

وبين ١٩٤٨م و ١٩٥٢م ، ألقت الحكومة عمداً من الجو مواداً مشعة على ١٥ كيلومتر من المناطق المأهولة ، لدراسة تأثيراتها الإشعاعية ومدة ذلك التأثير .

وليس هذا إلا غيض من فيض .

وتجدر الإشارة إلى أن شعار " **أمريكا دولة الحرية و الديمقراطية** " ليس إلا شعاراً أجوف ، فانتهاك حقوق وكرامة المواطن الأمريكي ، وخاصة المستضعف ، أمر عادي ويومي في الولايات المتحدة .

فباسم محاربة المخدرات والإرهاب ، يخضع رجال الأمن والحرس الوطني ، وحتى الجيش في بعض الأحيان ، المواطنين لمراقبة مستمرة على امتداد التراب الأمريكي : وهكذا تحلق المروحيات فوق المنازل ، وتنصب الحواجز في الطرقات ، وتجبر الشرطة الناس على الاستلقاء على الأرض بغية تفتيشهم ، والتأكد من هويتهم وتصويرهم ، وأخذ كل المعلومات عنهم ، وتمارس الاستنطاقات ، والاعتقالات ، والاعتداءات ، ويتم ترهيب المواطنين باستعراض مبالغ فيه للقوة . وتخضع مئات المدن ، والعديد من الشباب لقانون حظر التجول في الليل ، بل وحتى في النهار في بعض الأحيان . ويكفي أن تصل وشاية ولو كاذبة إلى الشرطة لكي تسارع إلى مداهمة منزل المشتبه فيه ، وكسر الباب والعبث بأثاث البيت ، وضرب وسب السكان ، وترويع الأطفال ، بل وإطلاق النار .

وهناك عمليات تجسس وجمع المعلومات عن المواطنين واسعة النطاق ، لا تستثني موظفين ، و لا نزلاء فنادق ، ولا قراء كتب معينة .

كما يتعرض المواطنون لكل أشكال الملاحقة والعقوبات بسبب تعاملهم مع كوبا أو ليبيا أو العراق أو غيرها .

ويتم إيقاف المسافرين في المطارات لعدة ساعات ، بل لعدة أيام ، وتصويرهم وتفتيشهم لأدنى اشتباه في شكلهم .

ولا تتردد الأجهزة الأمنية في السرقة والابتزاز ، بل واختراع الأساليب التي تمكنها من توريط من تستهدفهم من المواطنين . هذا ناهيك عن الميز العنصري ، وأخذ الشرطة الناس بالشبهة ، وضربهم على قارعة الطريق ومحاكمة القاصرين ، وغيرها من الممارسات المنتهكة للحقوق المدنية و حقوق الإنسان ؛ وفي النهاية : الانتقام من كل من أبدى رأيا معارضا لهذا التوجه . وهكذا يقبع في السجون الأمريكية المئات من المناضلين السياسيين ؛ من زنوج وهنود ومناهضي الأسلحة النووية والتدخل الأمريكي في الدول الأخرى ، وغيرهم . وهذه مجرد مقتطفات مما يتعرض له المواطن الأمريكي من قمع ، تبين الوجه الحقيقي لمجتمع قام على العنف ويعيش به .

- للبحث صلة -

الكتاب الرابع :

الولايات المتحدة طليعة الانحطاط

صدر في عام ١٩٩٦م .

يستعرض الأستاذ روجي جارودي في هذا الكتاب الوحشية التي تعتمدها الولايات المتحدة مباشرة أو من خلال وكلائها لإخضاع الشعوب الأخرى ، ويقرر أن كل هذه المآسي ليست إلا صوراً متنوعة لحرب واحدة يشنها

" **معسكر تأليه السوق** Le monothéisme du marché " و " **عبادة المال** " على كل الذين يأبون الخضوع لإرادته ، ويمانعون في أن تمسخ ثقافتهم وتستغل ثرواتهم وتستعبد شعوبهم . ويبين أن الولايات المتحدة هي المتزعم الأساسي لمعسكر تأليه السوق بسبب طبيعة نشأتها من خليط من المهاجرين لا يجمعهم دين ولا ثقافة ولا قيم [iii] ، إلا عبادة المال والسعي بأي ثمن وراء المصلحة الذاتية .

وتعتمد الولايات المتحدة وصفة واضحة ومتدرجة لإخضاع الشعوب الأخرى وبسط هيمنتها العالمية :

وهكذا تعتبر " المساعدة " المزعومة لدول العالم الثالث ، من أنجع عوامل إخضاعها ، وتعميق تبعيتها

، حيث تمنح استثمارات وقروض وحتى عطاءات ، للدول المستهدفة ، لتكبيلها بالديون من جهة ، وإسلامها للشركات المتعددة الجنسية ، لكي تستنزفها كما تشاء ، وبالشكل الذي تستحيل معه أية " تنمية " . وتعتبر مبادرة تصنيع دول العالم الثالث و " نقل التكنولوجيا " ، أسلوبا آخر لتشكيل " نموذج تنموي " قراره الإداري خارج البلاد ، ليؤدي إلى تبعية اقتصادية كاملة ، وتبعية سياسية مباشرة أو غير مباشرة .

وأنجع وسيلة لتأمين أداء الديون هو تنصيب دكتاتورية عسكرية ؛ وقد يتم القبول بعد ذلك بحكام منتخبين ، إذا وافقوا على أداء ديون العسكر ونسيان جرائمهم .

وهكذا ومن خلال الديون ، يواصل " صندوق النقد الدولي " و " البنك الدولي " ، منذ ٢٠ سنة ، تدمير نصف المعمورة الجنوبي ، من الأرجنتين إلى تانزانيا ، ومن باكستان إلى الفليبين ، وقد بدءا يطبقان اليوم نفس المنهج على دول شرق أوروبا .

وإذا استدعى الأمر التدخل العسكري الأمريكي المباشر فالذرائع جاهزة : من " حق التدخل الإنساني " ، الذي اعتمد في الصومال ؛ إلى الدفاع عن " القانون الدولي " وعن " الديمقراطية " وحقوق الإنسان ، لتبرير مجازر الخليج .

وقد يعتمد إشعال فتيل النزعات القومية ، أو المواجهات العرقية أو الدينية المزعومة ، لتكريس الهيمنة وتبرير التدخل .

ولمقاومة معسكر تأليه السوق يقترح الأستاذ جارودي برنامجاً عملياً وواقعياً واضحاً .

(١) بالنسبة " للعالم الثالث "

- فض كل النزاعات التي يغذيها سادة العالم الحاليين خدمة لمصالحهم .
- رفض أداء الديون المزعومة ، لأن الغرب هو المدين حقيقة تجاه العالم الثالث ، بسبب ما نهبه المستعمر من جهة ولأنه قد تم تسديد هذه الديون منذ زمن طويل من خلال الفوائد الربوية .
- رفض " المساعدات " الحقيرة الهادفة إلى إخفاء هذا الظلم المتواصل منذ عدة قرون .
- إنشاء صندوق للتضامن بالأموال التي ستوفر برفض تسديد الديون وفوائدها ، لتعويض " المساعدة المزعومة " .
- فك كل أنواع " الحصار " التي يفرضها ظلماً " سادة العالم " المؤقتين على المستضعفين .
- إنشاء " سوق مشتركة " من شعوب العالم الثالث ، و إجراء هذه المبادلات على أساس المقايضة

لتجنب استعمال عملة الشمال ، وخاصة منها الدولار ، في انتظار إنشاء عملة موحدة .

ـ المقاطعة المطلقة ، للولايات المتحدة وأتباعها ، لوضع حد لكل ضروب الهيمنة الاقتصادية والثقافية .

ـ الانسحاب الجماعي من كل الهيئات التي تحولت إلى أداة لهيمنة جهة واحدة ، وأصبحت تضفي الشرعية على اعتداءاتها العسكرية والاقتصادية والثقافية .

ـ السماح بالالتحاق بهذا التحالف لكل من يؤمن بمبادئه ، سواء كان جهة رسمية أو شعبية .

(٢) بالنسبة لأوروبا :

إن السياسة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها اليوم مستقبل ، هي السياسة التي ستتمكن من حل مشاكل البطالة ، والهجرة ، و الجوع في العالم . ويكمن الحل الوحيد في تغيير جذري لعلاقة أوروبا مع العالم الثالث ، بوضع حد لهينة الغرب وتبعية الجنوب ، لأن التبعية هي التي تولد " التخلف " .

ويستدعي هذا مجموعة من القرارات السياسية ، تهدف كلها إلى التحرر من " عولمة " الاقتصاد المزعومة ، التي تعني عزم أمريكا على تحويل أوروبا وباقي العالم ، إلى مستعمرة تفتح الآفاق للاقتصاد الأمريكي في كل المجالات .

ويتطلب هذا ، الانسحاب من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكل الهيئات الأخرى التي تُتخذ وسيلة لإرادة الهيمنة الأمريكية العالمية .وهذا ما سيمكن أوروبا من استعادة حرية ربط علاقات جديدة كلية مع العالم الثالث . بهدف إقامة عالمية حقيقية توفر لكل طفل ولكل امرأة ولكل رجل ، أيا كانت الحضارة التي ينتمون إليها ، الوسائل الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تمكنهم من التنمية الكلية لكل الثروات التي يحملونها بين جنبيهم .

وإذا كان تشومسكي يرى الإصلاح من خلال الشعب الأمريكي ؛ وكان جارودي ينادي بإصلاح عالمي على مستوى الدول والحكومات ، فإن جان زيكلير يتحدث عن الإصلاح من خلال مؤسسات المجتمع المدني ، الذي يصفه بإسهاب في كتابه ، " سادة العالم " قائلاً :

يضم المجتمع المدني العالمي تحالفا لعدة حركات من القارات الخمس .

ولقد شارك في المظاهرات التي نظمت احتجاجاً على قمة الثمانية الكبار بمدينة جينووا الإيطالية ، في يوليو ٢٠٠١م ، ٢٠٠,٠٠٠ شخص ، يمثلون ٨٠٠ حركة شعبية ونقابية ومنظمات غير حكومية ، أتت من ٨٢ دولة .

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة (٢/١)	الكاتب : رشيد أبو ثور

ومن ٣١ كانون الثاني/يناير إلى ٥ شباط/فبراير ٢٠٠٢م ، انعقد في بورطو ألجري Porto Alegre بالبرازيل الملتقى الاجتماعي العالمي الثاني ، وشارك فيه ٦٠,٠٠٠ مشارك أتوا من القارات الخمس ، وخاصة من أوروبا وأمريكا اللاتينية ، ويمثلون أكثر من ٠٠٠ ٢ حركة شعبية ونقابية ومنظمات غير حكومية ، أتت من ٨٨ دولة .

تعمل هذه المنظمات من خلال ٦ جبهات :

- المنظمات العمالية النقابية .
- حركات الفلاحين ، ومن ضمنها حركة " من لا أرض لهم " المنطلقة من البرازيل والتي تضم عبر العالم أكثر من ١٠٠ مليون عضو من صغار الفلاحين .
- جبهة النساء التي تناضل عبر العالم من أجل حقوق المرأة .
- جبهة الشعوب المحلية المتمسكة بهويتها الأصيلة وبالأشكال الاجتماعية التقليدية التي كانت قائمة قبل الرأسمالية . وهم يمارسون مقاومة ثقافية في وجه الزحف الرأسمالي المدمر والمنمط ، بإحياء العادات والممارسات والأشكال التقليدية ، وخاصة في أمريكا اللاتينية ، حيث يسعون إلى العودة إلى التقاليد الهندية العريقة .
- جبهة الحركات الجمعوية والأحزاب البيئية .
- جبهة المنظمات غير الحكومية التي تعمل على واجهات متعددة .

وتعتبر حركة " أطاك ATTAC " التي أنشئت ستة ١٩٩٧ بمبادرة من صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية ، وبعض المثقفين والنقابيين الفرانكفونيين ، أهم هذه المنظمات ؛ وتضم ٢٢٠ لجنة محلية بفرنسا ، بالإضافة إلى ٤٠ فرع عالمي منتسب لأطاك العالمية ، وعلى رأسها أطاك ألمانيا وأطاك سويسرا .

في سنة ٢٠٠٢م كان لأطاك ٣٠,٠٠٠ عضو بالإضافة إلى ٤٦٢ نقابة و ٢٩١ جمعية . ويعرض موقع إنترنت لأطاك تقارير وتحليلات وكتب ومواضيع ومعلومات مختلفة . ويتم يوميا نسخ ٤٠,٠٠٠ ألف وثيقة من هذا الموقع ، من ١٣٠ دولة . ويعمل مع أطاك بشكل طوعي ٦٠٠ مترجم يتقنون ١٥ لغة .

بعد أطاك تأتي منظمة بريطانية " جوبلي ٢٠٠٠ Jubilé " وهي منظمة مسيحية تناضل من أجل الإلغاء الكلي لديون العالم الثالث الخارجية . وفي أقل من ٣ سنوات بعد إنشائها حصل طلبها هذا على ١٧ مليون توقيع . وتعتبر خصماً بارعاً ولدوداً للبنوك والمؤسسات المالية العالمية .

ومؤسسة Third World Network أنشئت سنة ١٩٩٦م وتضم المآت من التنظيمات المحلية والجهوية والوطنية للنضال كذلك من أجل إلغاء ديون العالم الثالث.

وهناك منتدى الفقراء الذي أنشئ في تايلاند سنة ١٩٩٥م من فلاحين وفقراء ، ويضم أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ عضو .

وهناك منظمات تناضل من أجل حقوق الطفل ومنظمة " العمل ضد الجوع " وغيرها في أوروبا .

وفي الولايات المتحدة تضم مؤسسة Fifty Years is Enough أكثر من ٢٥٠ جمعية مناهضة للعولمة .

وفي كوريا الجنوبية هناك منظمات تعمل في صفوف نقابات شرق آسيا .

ففي كل قارة يعمل عدد من المتخصصين والخبراء الثائرين على الوضع الحالي الظالم ، على بناء عالم جديد ، يعمه العدل والإنصاف .

الكتاب الخامس :

ما بعد الإمبراطورية

صدر في عام 2002م .

أما الباحث إمانويل طود Emmanuel Todd الذي ألف سنة ١٩٧٦م كتاب " السقوط الأخير " متنبئاً فيه بتفكك الاتحاد السوفييتي ، فيقرر في كتابه " **ما بعد الإمبراطورية** " ، أن ما تمارسه اليوم الولايات المتحدة من استعراض مسرحي للعضلات العسكرية على دول ضعيفة ، لا يعبر عن القوة العسكرية ، بقدر ما يعبر عن حالة من التراجع ؛ فالولايات المتحدة لن تكون إمبراطورية تنفرد بالهيمنة على العالم ، لأنها قد دخلت في مسلسل من الانحطاط لا رجعة فيه ، سيحولها في نهاية المطاف إلى قوة عادية .

يعتمد الكاتب في تحليله هذا على العوامل الثقافية الديمغرافية والاقتصادية ، ليقرر الخلاصة الآتية :

يتجه العالم نحو مرحلة من الاستقرار ، بسبب انتشار التعليم الذي يؤدي إلى تطلع الناس إلى مزيد من الديمقراطية وتحسين مستوى المعيشة ، غير أن هذا التحول يمر عبر مرحلة أليمة من التحولات التربوية والديمغرافية . والعالم الثالث نفسه في طريقه إلى مزيد من التقدم والديمقراطية ، وإن كان ذلك يتم عبر اندفاعات دينية وأيديولوجية عنيفة .

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة (٢/١)	الكاتب : رشيد أبو ثور

فلا وجود لأي تهديد شامل ، يستوجب نشاطا خاصا للولايات المتحدة لحماية الحريات والديمقراطية التي تراجعت في الولايات المتحدة نفسها ؛ والتهديد الوحيد للاستقرار العالمي يأتي اليوم من أمريكا التي انتقلت من دور الحامي ـ نظرياً ـ الديمقراطية والحرية والوضع الاقتصادي ، إلى دور السالب والناهب .

ففي الوقت الذي أضحى بديهياً أنه لم تعد هناك فائدة سياسية ولا عسكرية للولايات المتحدة ، تجد هذه الأخيرة نفسها غير قادرة على الاستغناء عن منتجات العالم . في سنة ١٩٤٥ كان الإنتاج الوطني الخام للولايات المتحدة يعادل نصف الإنتاج العالمي ؛ غير أن الهيمنة الأمريكية وفرضها لمبادئ الحرية الاقتصادية في مجال هيمنتها ، سيحدث تحولاً في الاقتصاد الأمريكي لتظهر أول علامات العجز في ميزانها التجاري مطلع السبعينات ، ومع تفكك الاتحاد السوفييتي وتوسع دائرة التبادل التجاري للولايات المتحدة ، تفاقم هذا العجز ليرتفع بين سنتي ١٩٩٠م و ٢٠٠٠م من ١٠٠ مليار دولار إلى ٤٥٠ مليار دولار . وهكذا أضحت الولايات المتحدة غير قادرة على الاستغناء على العالم ، لسد عجزها التجاري هذا ، مما سيضطرها إلى خوض معارك سياسية وعسكرية للحفاظ على مكانتها ومستوى استهلاكها ؛ لكن العالم جد شاسع ، وجد مأهول بالسكان ، وجد متنوع ، وتخترقه الكثير من القوى التي لا يمكن التحكم فيها . فلا وجود لاستراتيجية ، أيا كانت درجة ذكائها ، تمكن أمريكا من التحويل من شبه إمبراطورية إلى إمبراطورية فعلية . إنها تفتقر للقوة العسكرية والاقتصادية والأيديولوجية اللازمة لذلك . ولهذا كلما حاولت إحكام قبضتها على العالم ، كلما أدى ذلك إلى ردود فعل سلبية تزيد وضعيتها الاستراتيجية إضعافاً .

ماذا جرى خلال العقد الأخير ؟ كانت هناك إمبراطوريتان حقيقيتان وجهاً لوجه : الاتحاد السوفييتي وأمريكا . غير أن السقوط القاسي للشيوعية جعل الناس يتوهمون أن هناك صعود قوي ومطلق للولايات المتحدة . و ظنت هذه الأخيرة أنه بمقدورها بسط هيمنتها على العالم بكامله ، في حين كانت هيمنتها على دائرة نفوذها آخذة في التراجع .

إن تحقيق هيمنة كوكبية قارة ، يتوقف على شرطين في مجال ميزان القوى الحقيقية :

ـ مواصلة إحكام قبضتها على محميتها الأوروبية واليابانية ، التي أضحت تشكل قطبين لقوة اقتصادية حقيقية ، على اعتبار أن القوة الاقتصادية الحقيقية تقوم على الإنتاج ، وليس على الاستهلاك .

ـ القضاء المبرم على القوة الروسية الاستراتيجية : أي التمكن من التفتيت الكلي للمعسكر السوفييتي السابق ، والتنحية الكلية لتوازن الرعب النووي ، لتبقى الولايات المتحدة وحدها قادرة ومن طرف واحد ،على

مهاجمة أية دولة في العالم دون أن تخشى من أي رد .

غير أن أوربا تسير يخطى ثابتة نحو الوحدة والاستقلالية ، ولا زالت اليابان تحتفظ بقدرتها على التصرف منفردة إذا ما ارتأت ذلك في يوم من الأيام . أما روسيا ، فتتجه نحو الاستقرار ؛ وبما أنها تواجه إمبريالية الولايات المتحدة الجديدة في شكلها المسرحي ، عملت على عصرنة جهازها العسكري ، وبدأت تلعب الشطرنج بفعالية وابتكارية على المستوى الدبلوماسي .

ولعدم تمكنها من التحكم في اليابان وأوربا في المحال الاقتصادي ، وفي روسيا في المجال النووي العسكري ، وحرصا منها على الظهور بمظهر الإمبراطورية ، لجأت الولايات المتحدة ، لعمليات عسكرية ودبلوماسية استعراضية في ساحة الضعاف : متمثلين في ما أسمتهم بـ " محور الشر " والعالم العربي .

وهكذا يجد العالم نفسه أمام استعراض عسكري أمريكي مسرحي ، يقوم على ثلاثة عناصر :

ترك المشاكل بدون حلول نهائية لتبرير عملها العسكري الدائم على المستوى العالمي .

التركيز على قوى عسكرية متواضعة لاستعراض عضلاتها ، بالشكل الذي قد يؤخر سعي أوروبا وروسيا واليابان وحتى الصين إلى اقتسام الهيمنة على العالم .

تطوير أسلحة جديدة يفترض فيها أن تمكن الولايات المتحدة من إحداث فجوة كبرى بينها وبين غيرها في مجال سباق نحو التسلح الذي يجب ألا ينتهي .

مما لاشك فيه أن هذه الاستراتيجية تجعل من الولايات المتحدة عقبة في وجه الأمن العالمي ، لكن هل ستشكل الولايات المتحدة في المستقبل إمبراطورية ؟

تميزت الإمبراطوريات عبر التاريخ بخاصيتين :

ـ امتلاك قوة عسكرية هائلة تمكنها من إلزام الشعوب الخاضعة بأداء ضريبة مالية تغذي المركز .

ـ القدرة على معاملة الشعوب المحتلة على قدم المساواة مع مواطني المركز .

إذا كانت القوة العسكرية الأمريكية تفوق بكثير ما تحتاجه الولايات المتحدة للدفاع عن نفسها ، فإنها في نفس الوقت ليست بالحجم الذي يمكنها من فرض إرادتها وابتزازها على القوى العالمية الأخرى . والذي جعل الولايات المتحدة قادرة إلى الآن على جلب الأموال من العالم لسد عجزها على مختلف المستويات ، هو ما تمثله من ملاذ آمن لفائض الأموال العالمية التي غالبا ما تستثمر في المضاربات وليس في الإنتاج ؛ غير أن أي خلل أو إفلاس لهذه الشركات المضاربة يعرض الرساميل المستثمرة لديها للضياع ، ويكفي أن تتكرر حالات

لإفلاس ، ولقد بدأت ، ليعم الهلع في أوساط أصحاب الأموال ، لكي تنهار الثقة ، ومعها الدولار ، ومعهما الوضعية الإمبراطورية للاقتصاد الأمريكي .

أما الخاصية الثانية المميزة للإمبراطوريات فتتمثل في قدرتها على معاملة الشعوب الخاضعة بنوع من المساواة والإنصاف ؛ وهذا أمر غير متوفر في الثقافة الأمريكية ، كما يشهد بذلك تاريخا وحاضرها .

هذه هي الولايات المتحدة كما تحدث عنها عدد من الباحثين والخبراء ، أتمنى أن تتجاوز بنا النظرة السطحية والجزئية التي تنقلها وسائل الإعلام .

الحواشي:

(١) Jean Ziegler Rapporteur spécial des Nation Unis pour le droit à l'alimentation

(٢) يوجد في الولايات المتحدة مدرسة الأمريكيتين المخصصة لتكوين ضباط الجيش والشرطة لدول أخرى. ويتدرب المتعلمون هناك على كل ضروب التعذيب والبطش.

(٣) تعيش الولايات المتحدة اليوم أزمة هوية حادة، تبرز من خلال ما أصبح يسمى عندهم بـ"جرائم الكراهية " التي تقترف ضد مختلف المجموعات المشكلة للمجتمع. يراجع بهذا الخصوص مقال :

Les crimes de haine, symptômes d'une société fragmentée, le monde diplomatique, Janvier 1998